

ماذا لو قررت سوريا المضي بالمفاوضات بدون لبنان ؟

وماذا بعد ذلك ؟

بقلم الكولونيل شربل بركات

كانت مقولة الحكم في لبنان بتلازم المسارين وبأن لبنان لن يقدم على أي بحث بشأن الانسحاب الإسرائيلي من أراضيه بدون سوريا، أي بدون أن تفتح المفاوضات بين سوريا وإسرائيل . ولكن ها هي سوريا قد بدأت مفاوضاتها مع إسرائيل بدون لبنان، فماذا لو قررت المضي بها بدونه ؟ وماذا سيقول الحكم اللبناني لنا وللعالم عندها ؟ كان السوريون يقولون دوما بأن الحرب الدائرة في جنوب لبنان هي الحل الوحيد والملائم لتكبيد إسرائيل خسائر تجبرها على الانصياع لرغبتهم بالتفاوض حول إعادة الجولان إليهم كاملا، أي العودة إلى حدود ١٩٦٧، وقد صوروا لنا أنه ليس باستطاعتهم التحرك على جبهة الجولان كون كل تغيير بالأوضاع هناك سيؤدي إلى الإخلال بالاتفاقات بين سوريا وإسرائيل والتي حددت قواعد اللعبة في الجولان . ولكن ألم يكن لبنان قبل فرض اتفاق القاهرة عليه ينعم أيضا بنوع من الاستقرار على حدوده الجنوبية بانتظار الحل مع إسرائيل ؟ وماذا كان يعكر صفو هذه الحدود قبل ذلك الاتفاق المشؤوم ؟ ومن الذي فرض على لبنان يومها القبول بتسليح الفلسطينيين وإبقائهم قوة خارجة عن سلطة الدولة تناوش هنا وتتعدى هناك فيتلقى المواطن اللبناني والوطن ردات الفعل التي تنعكس صراعات داخلية بين مؤيد ومعارض . ألم تكن سوريا التي منعت الفلسطينيين من العمل عبر حدودها مع إسرائيل هي نفسها من شجع هذا العمل عبر الحدود مع لبنان ، ثم قامت بدفع أفواج من المقاتلين إلى المخيمات تحت اسم الصاعقة ؟ ومن كان وراء التسليح والتدريب، وأين كانت تقام الدورات، ومن أين يأتي السلاح ؟ كل هذا معروف وكله كان سبب الحرب في لبنان، وقد أدى فيما أدى إلى دفع هذا البلد ثمنا لم يدفعه بلد آخر في التاريخ من التضحيات في سبيل البقاء. فقد قتل عشر عدد السكان في هذه الحرب تقريبا، وهجر أكثر من الثلث، ولا يزال البلد يعاني من تمزق داخلي سببه سياسات الدول المجاورة، وخاصة هؤلاء الغرباء عن أرضه الذين يفرضون الحلول بالقوة، بعد أن أجهدوا الشعب، وشرعوا احتلالهم، وصبوا دمي تنفذ أوامرهم بدون خجل أو تردد . اليوم يقف العالم، بكل تقدير، ونحن معه، لجهود السلام التي تبذل من أجل إنهاء الصراع وحالة الحرب بين سوريا وإسرائيل . ولكن هذا العالم نفسه يتجاهل مصير لبنان الذي تحتله جيوش غريبة ومنظمات مسلحة لا تزال تشكل جزرا أمنية وعناصر تخريب تمولها دول لها مطامع توسعية تستند تارة على الدين وطورا على القربى وأخرى على حقوق مهدورة لشعوب غير لبنانية . فما بالنا نحن اللبنانيين نقف مشدوهين ككل العالم

الغير المعني بما يجري، إلا بما يرى أو يسمع في وسائل الإعلام . ما بالنا نقف متفرجين على من ينزع منا الدور في قرارات السلام الآتي، فيفرح كل العرب من حولنا ونحزن نحن وحدنا ، ذلك لأن السلام قد حل في مصر وما يزال ، ثم في فلسطين صاحبة الشأن وهو ماض ، وبعدها في الأردن ، وها هو اليوم يحل في سوريا . بينما نترك نحن بؤرة للفساد وملجأ لبعض قوى الرفض؛ فلسطينية كانت أو إيرانية أو كردية أو حتى من جماعات الجيش الأحمر والأخضر والأصفر وغيرها من الألوان .

نحن اللبنانيون اليوم وليس غدا، علينا، أينما كنا، أن نتجمع حول المصير، فلم نعد بحاجة لشهادة في الوطنية أو العروبة أو غيرها من الشهادات ليسمح لنا بالكلام ، علينا أن نسمع العالم صوتنا، ونقول كلمتنا التي لا يستطيع موظفون معينون أن يقولوها . يجب أن يسمع العلم كله منا صوتا واحدا ومقولة واحدة من أقصى شمال الكرة إلى أقصى جنوبها :

" فلتخرج كل الجيوش المسلحة غير اللبنانية، وكل العناصر المسلحة غير اللبنانية، وكل التنظيمات المسلحة غير اللبنانية؛ إسرائيلية كانت أم سورية أم إيرانية أم فلسطينية أم كردية أم غيرها.. إلى آخر المعزوفة. وليستعد لبنان ديمقراطيته، وحريته، واستقلاله، وسيادته على كامل أراضيه، وكل الشكر للأشقاء، والحلفاء، والأقارب، والأصحاب، والمجاهدين، والمناضلين . وليعلم العالم أننا نحن اللبنانيون دعاء سلام أكثر من غيرنا، ودعاة انفتاح أكثر من غيرنا، ودعاة تعاون مع كل شعوب الأرض، ولكن، على قدر واحد من المساواة ."

فيا أيها اللبنانيون انهضوا من سباتكم فالوطن اليوم يناديكم، مجتمعين هذه المرة حول مستقبله ومصيره، وعليكم، أينما كنتم، أن ترفعوا الصوت ليسمع صانعي القرار ويعرفوا بأن السلام لا يكون في كل البلاد ويترك لبنان، وأن الجيوش الغربية كلها غريبة، والعناصر المسلحة الغربية كلها غريبة، ويجب أن تخرج قبل أن يحل السلام عند الجيران، لكي لا تبقى عندنا فتزعجنا وحدنا وتمنع علينا التقدم والتطور والتفاعل الإيجابي في عالم الألفية الثالثة ، بينما ينعم الآخرون كل الآخرين بالطمأنينة والسلام .

لبنان الجنوبي في ١٢/٢٥/١٩٩٩